مخطوطات البحر الميت

مقاربة جديدة للنقد التوراتي

les manuscrits de la mer Morte
Nouvelle approche pour la critique textuelle biblique

أستاذة حاج طاهر زكية

قسم العلوم الإنسانية

المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة

الملخص

يتناول هذا المقال دراسة وصفية في إطار كرونولوجي لاكتشافات مخطوطات البحر الميت أو ما يسمى أيضا بمخطوطات قمران، التي تم العثور عليها شمال غرب البحر الميت في مغارات قمران سنة 1947 م .و تكتسي هذه المخطوطات أهمية قصوى من حيث أنها أحدثت ضجة كبيرة في الأوساط اللاهوتية لأنها تقدم لنا أقدم وثائق مكتوبة على رقائق جلدية للكتابات المقدسة سواء يهودية (من أسفار قانونية للعهد القديم و أسفار خفية أو أبوكريفا Apocryphes، و تعليقات وشروحات) و أيضا القانون الخاص بالطائفة الإيسينية التي تعود إلى مكتبتها هذه المخطوطات ضمن ما وجد في مكتبتها، مما جعل علماء الآثار و مؤرخي الأديان و اللاهوت يصفون الإيسنيين بالمجتمع المسيحي المبكر، و زمنيا تعود هذه المخطوطات إلى القرن الثاني قبل الميلاد . و منه تكمن أهميتها القصوى في كونها وضعت الديانة اليهودية و الديانة المسيحية الكنسية على المحك لأنها تقدم الأسس النصية و المعلومات الجديدة تكون انطلاقة لإعادة بعث علم نقد النصوص بشكل مخالف و مراجعات تبدأ من بديهيات الاختلافات الشكلية و الكتابية إلى إعادة النظر في جوهر كتابة العهد القديم والجديد.

الكلمات المفتاحية

مخطوطات قمران، الطائفة الإيسينية، سفر إشعيا، رولند دو فو، و تعليق حبقوق، المدرسة التوراتية الأركيولوجية الفرنسية بالقدس.

Résumé

Cette étude descriptive traite les découvertes des manuscrite de la mer morte connu également connu sous l'appellation les manuscrites de Qumran par rapport a leurs découverte dans les grottes de Qumran, sur les rives nord-ouest de la mer morte , dans un ordre chronologique depuis 1947 . ces derniers sont d'une importance capitale et ont suscité un grand intérêt et fait l'objet de vives controverses, dans les milieux spécialisés. d'abord, par L'exploration des plus anciens documents originaux remontant pour certains aux origines de la Bible hébraïque , et aussi font état de dissimulations visant à occulter des faits qui mettraient en péril la foi des juifs et des chrétiens.

Cette découverte **nous présente** divers types des écrits saints dans ces manuscrits. (Des livres bibliques soit le texte biblique canonique, soit des commentaires ou interprétations ou encor des livres apocryphes et, des écrits particuliers aux esséniens **sur des** grands rouleaux de cuir fin(parchemin) et des fragments **qui remonte au(2eme siècle avant** J.-Ch) .

Mots clés : Les manuscrites de Qumran, le secte essénien , le livre d'Isaïe , Roland De Vaux , Pesher d'Habaquq , Ecole Biblique et Archéologique de Jérusalem

التمهيد

لقد أحدث اكتشاف مخطوطات البحر الميت أو ما يسمى أيضا بمخطوطات قمران ضجة كبيرة في الأوساط اللاهوتية اليهودية والمسيحية، وبين أوساط الباحثين الأركيولوجيين والأنثروبولوجيين ومؤرخي الكتاب المقدس الذين يهتمون بتاريخ منطقة الشرق الأوسط .

و من هنا أصبح ضروريا إعطاء نظرة على الملابسات التاريخية لظهور هذه المخطوطات وعلاقتها بالطائفة الإيسينية[1] التي تعود إليها هذه المخطوطات .

و يمثل اكتشاف مخطوطات البحر الميت أو مخطوطات قمران التي تم العثور عليها سنة 1947م نقطة فارقة في الديانة اليهودية و المسيحية، بل تعتبر أهم و أخطر اكتشافات القرن العشرين[2] لأنها ستضع ديانتين كبيرتين هما الديانة اليهودية و الديانة المسيحية على المحك.

و لا أدل على تلك الأهمية من أنه بعد مرور عشر سنوات على هذا الاكتشاف قام العالم الألماني شارل بورخارد Charles Burcard في برلين باستحداث سجل للإصدارات التي توالت طوال ذلك العقد، و نشره سنة 1959م و يتضمن هذا السجل أو هذه الفهرسة 1538 عنوانا مختلفا بين كتب ومقالات علمية و أبحاث حول موضوع المخطوطات[3].

و بعد عام تقريبا صدرت مجلة أخرى بالإنجليزية بعنوان "اكتشافات البحر الميت" و من البديهي أن الرقم الوارد في فهرست بورخارد تضاعف عدة مرات[4] حتى بلغ عددها أكثر من ثلاثة آلاف دراسة، و نشرت باللغات الإنجليزية، الفرنسية و الألمانية[5].

و إن دلّ هذا الكم المتواصل من الإصدارات في العالم عن شيء، فهذا يؤكد الأهمية القصوى لهذه المخطوطات من حيث أثرها عل الديانة اليهودية و المسيحية و الكتاب المقدس بعهديه، بحيث تعد هذه المخطوطات أقدم مجموعة وثائق تتعلق بالعهد القديم و العهد الجديد، إذ احتوت ضمن مخطوطاتها وثائق تظهر لأول مرة في التاريخ . كما ازدادت أهميتها وفقا لما تناولته وسائل الإعلام أنذاك خاصة ما راحت الصحافة تتناوله بالتعليق على ما أشيع في ذلك الوقت حول تأخر معتمد وتعتيم مفروض بيد من حديد لعدم نشر أي معلومات جادة حول النصوص و ترجمتها، و أن المتحكمين في هذه العملية أساسا هم من رجال اللاهوت المسيحي العاملين في المعهد الإنجيلي بالقدس[6].

ذلك أن هذه المخطوطات يرجع تاريخها تدريجيا إلى القرن الثاني قبل الميلاد و تظم ثلاثة أرباع أسفار العهد القديم مكتوبة بالخط العبري و الخط الآرامي . و هذه الأسفار معظمها مرفوض اليوم من الكنيسة بكل أطيافها و أيضا سبق و أن رفضت من طرف المعبد اليهودي.علما أن أقدم مخطوطة كاملة للعهد القديم إلى غاية هذه الاكتشافات الأخيرة تعود إلى القرن الحادي عشر ميلادي منسوخة هي الأخرى عن نسخة بن أشير[7]. و أكثر مخطوطات العهد القديم التي بين أيدينا اليوم لا تعود إلاّ لتلك المخطوطات المؤرخة بين القرنين الثالث عشر و الخامس عشر الميلادي . و هكذا نرى أن مخطوطات البحر الميت قدمت للعالم اليوم أكثر أسفار العهد القديم غورا في الزمن بحيث يزيد عمرها عن ألف عام على تلك التي كان يعتقد أنها الأقدم[8].

و تمثل هذه المجموعة من المخطوطات الأسفار المقدسة للإيسنين التي انتقلت مكتبتها من مقرها الأصلي إلى الكهوف على الحافة الغربية للبحر الميت لإخفائها عن أنظار الرومان خلال الحرب اليهودية الرومانية و التي انتهت بكارثة على اليهود سنة 70م. و تلك الجماعة هي بلا شك تلك التي أشار إليها بلين الأكبر Pline L'ancien بكلمة " فوق أنجدي" و انقرضت تلك السنة أي 70م كما يدل على ذلك وقف التعامل بنقود في هده المنطقة ابتداء من هذا التاريخ[9].

و من خلال ما تقدم، يحق لنا الآن أن نتساءل عن ماهية و جوهر هذه المخطوطات و لمدا ما تزال محل جدل اليوم، و تأثيرها على نصوص العهد القديم و الجديد من حيث الجوهر و بالتالي من حيث الثقة في معطياته الدينية كما هي أيضا المعطيات التاريخية ؟. و لماذا أصرت الطائفة الإيسينية على الاحتفاظ و الاعتقاد بكثير من النصوص التي رفضها القانون العبري و القانون الكنسي . و من هم أعضاء هذه الطائفة التي تفردت بمذهبها عن يهود تلك الفترة بمذهب يدعو إلى العودة إلى نقاوة الشريعة الموسوية دونما سواها و ما علاقتها الواضحة بالمسيحية الأولى (و إن

كان هذا العنصر لا يهمنا في هذا المقال لكن وجب الإشارة إلى الموضوع و لو بشكل مقتضب).
أما الإشكالان الأكثر تعقيدا في هذا الموضوع هو الاكتشافات في حد ذاتها و ما روي عن ملابسات تستحق بالفعل وقفة علمية للنظر فيها بسبب الطبيعة الجغرافية للمنطقة التي تبدو من الوهلة الأولى صعوبة العيش فهي منطقة قاحلة و جبلية وعرة هذا أولا ثم النشر الذي أصبح يشبه الري بالتقطير ثانيا . فهذه المخطوطات محاطة بسرية تامة، خاصة تلك التي آلت ملكيتها إلى دولة إسرائيل بعد إنشاء المصلحة الوطنية للآثار سنة 1948م[10] و التي فاوض عليها الأثري الإسرائيلي سوكونيك وتحصل على سبع مخطوطات منها[11].

و الأهمية القصوى لهذه المخطوطات أيضا تكمن فيما تقدمه لنا من أسس نصية و معلومات جديدة ينطلق منها لتأسيس علم نقد النصوص و مراجعات تبدأ من بديهيات الاختلافات الشكلية والكتابية إلى إعادة كتابة عهد قديم و جديد عبر مراحل متعددة في جوهر الموضوعات[12].

I – إستطان موقع قمران من طرف الإيسنيين و الدلائل الأثرية على ذلك :

يقع موقع قمران شمال غرب البحر الميت جنوب مدينة أريحا[13]، و هو عبارة عن خرائب متعددة داخل كهوف اصطلح على تسميتها بخربة قمران و هي تحتل واحدة من أخفض المناطق على سطح الأرض[14] و بذلك تشكل إقليما حارا بسبب هذا الانخفاض على مستوى سطح البحر، و هذا ما يفسر عدم فساد تلك المخطوطات الجلدية أو التي كتبت على ورق البردي فبقيت بحالة حسنة إلى أن عثر عليها سنة 1947م بعد إحدى عشر قرنا من إخفاءها.

و ليس الموقع الجغرافي الحار هو السبب الوحيد في اختيار هذا المكان لاختزان المخطوطات في المنطقة، بل هناك سبب آخر هو أن الطائفة اليهودية التي قطنت المكان كان لها طقوس دينية خاصة تميزها عن الفرق اليهودية المعاصرة لها لاسيما الصادوقية[15] و الفريسية[16]. و اسم هذه الطائفة الإيسينيون[17] و يعرفون بأسماء أخرى مثل المغتسلون، الأتقياء و غيرها من الأسماء التي توحي في دلالتها ابتعادهم عن اليهودية التي انحرفت عن الشرائع الموسوية قبيل العهد المسيحي. وكما تميزت هذه الطائفة بمبدأ الحياة الجماعية[18] و قد تسلقوا وقتها بسرعة و سرية المنحدرات الجبلية المجاورة ليبطنوا في إحدى عشر كهفا لفائف كتبهم الثمينة و ما من أحد من أعضاء الطائفة عاد لاسترداداهم ثانية . و هكذا مكثت هذه اللفائف Rouleaux هناك قرابة ألف سنة[19].

بدأ تنقيب الموقع سنة 1951م بعد العثور على أولى المخطوطات سنة 1947م من طرف كل من رولند دو فو Roland De Vaux و لنكستر هاردنغ Lancaster Harding و استمر العمل في تنقيب الموقع إلى سنة 1958 حيث ظهر جليا للعيان أن الموقع يحتوي على عدة مستويات إعمار

أقدم مستوى يعود إلى القرنين الثامن و السابع قبل الميلاد و يمكن أن ينسب الموقع إلى عهد الملك أوزياس Ozias و هجر مع بداية القرن السادس قبل الميلاد [20] كما يبدو. و كان آنذاك يسمى "مدينة الملح" كما ذكر في سفر يوشع " في البرية بيت العربة و مدين و سكاكة 62 و النبشان ومدينة الملح و عين جدي، ست مدن مع ضياعها"[21] خلال تعداد مدن يهوذا[22].و بعد فترة طويلة أعيد إعمار الموقع في القرن الثاني قبل الميلاد و دعا سكانه الجدد أنفسهم بجماعة الميثاق أو الإيسينيين . و فعلا أثبتت تنقيبات هاردنغ و دوفو سنة 1952م أثناء حملة التنقيب من 24 نوفمبر إلى 12 ديسمبر على وجود قطع نقدية بين المكتشفات كانت متداولة بين أعضاء الطائفة مما يدل على تعمير الموقع من طرف الإسينيين[23].

كما يؤكد المؤرخ يوسف فلافيوس أن الموقع قد عمر ما بين القرنين السادس و الثاني قبل الميلاد لعدة مرات و تعرض لهزة أرضية قبل أن يستوطنه الإسينيون و أنه شهد تدميرا أخر في عهد الإيسنون من طرف الرومان[24].

أما الإيسنيون فقد سكنوا منطقة قمران و ما جاورها و اهتموا بالزراعة و صباغة الجلود التي سيكتبون عليها كما عثر دوفو و لانكستر على أساسات و جدران لأبنية الإيسنيين التي كانت تحتمي ببرج عالي من الشمال الغربي، إضافة إلى غرفة النسخ التي تحتوي على طاولات للنسخ تصل إلى خمسة أمتار طولا، مما يجعلنا لا نتفاجأ بطول المخطوطات التي انكب كهنة الملة على كتابتها[25].

II – اكتشاف مخطوطات قمران :

يرجع اكتشاف مخطوطات قمران و كل مخطوطات البحر الميت إلى محض الصدفة من طرف أحد الرعاة و المدعو محمد الذيب من عشيرة بدوية تسمى عشيرة التعامرة في الشمال الغربي من البحر الميت و حدث هدا ليلا مما جعله لا يحض بشيء من المقتنيات الأثرية.

و في اليوم الثاني توجها رعيان إلى المكان هما محمد الذيب و زميل له و استطاعا استخراج سبعة من اللفائف التي كانت داخل جرار من الفخار من مغارة واحدة والتي عرفت بالمغارة رقم واحد.و تم عرض المقتنيات الأثرية على أحد التجار المدعو إسكندر خليل و الذي سيعرف بعد هذا بلقبه العالمي كاندو بسبب هذه المخطوطات. حاول كاندو أن يعرف محتوى ما شتراه لكن للأسف لم يفلح في ذلك لكنه لاحظ أن الكتابة المدون بها المخطوطات تشبه السريانية التي يعرفها و كانت متداولة في فلسطين خاصة في الكنائس .هذا ما جعله يعرضها على المطران مار أثناسيوس يشوع صموئيل Mar Athnasies Josué Samuel مطران دير مرقس بالقدس. هذا الأخير توجه بالمخطوطات لعدم قدرته على قراءتها إلى مطران أخر بالمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية American School of

Orient Research l'ASOR . و هكذا ما إن وصلت هذه المخطوطات إلى المدرسة حتى تولى تحليل كتاباتها الدكتور جون تريفر John Trever أستاذ الكتاب المقدس و بالفعل فك طلاسم الكتابة من على أحد المخطوطات[26].

أستطاع تريفر بعد محاولات عديدة في فك كتابة مخطوط ليتبين أنه سفر أشعيا من العهد القديم ويمثل المخطوط تقريبا السفر بأكمله، كما اتضح أنه كتب قبل كتابة سفر أشعيا الحالي المتضمن داخل الكتاب المقدس بألف سنة. و من هنا تظهر أهمية هذا المخطوط مقارنة بسفر أشعيا الحالي[27]. و يبلغ طول هذا المخطوط حوالي سبعة أمتار[28].

مباشرة بعد سنة 1948م وصلت معلومات حول هذه المخطوطات إلى الحكومة الإسرائيلية، بحيث كلفت الدكتور سوكونيك أستاذ الآثار بجامعة القدس العبرية من شراء المخطوطات الثلاثة الأخرى ويتعلق الأمر بمخطوط سفر إشعيا التوراتي، مخطوط تنظيم الحرب، و مخطوط الأناشيد المنحول أما المخطوطات الأخرى فقد بقيت بحوزة المطران أثناسيوس[29]. و قد حاول سكونيك شراءها منه لكن قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين و انفجار الصراع العربي الإسرائيلي حال دون ذلك .ما لم يستطع أن يفعله سكونيك، أنجزه إبنه ياجييل يادين Yagael Yadin أستاذ الآثار و تمكن من شرائها[30].

و عندما تم إعلان الهدنة بين الدول العربية و إسرائيل في يناير 1949م أصبحت منطقة قمران تحت سيطرة المملكة الأردنية، لكن التعامرة كانوا يحتفظون بموقع الكهف سرا[31]، إلا أن تمكن الجيش الأردني من تمشيط المنطقة خلال 72 ساعة[32] و العثور على الكهف الأول .

أعيد فتح المغارة أمام الأبحاث العلمية حيث أسند التنقيب إلى لانكستر هاردنغ Lancaster Harding رئيس قسم الآثار بالأردن و رولند دو فو Roland De Vaux مدير المدرسة التوراتية الأركيولوجية الفرنسية بالقدس Ecole Biblique et Archéologique de Jérusalem و المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية l'ASOR حيث نقبت المغارة الأولى بشكل جيد[33] واستخرجت كمية من الجرار الفخارية تعود إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد .و كان يعتقد أن هذا الكهف هو الأوحد ولا مثيل له[34] و ما إن حل صيف 1950م إلى غاية سنة 1951م حتى تم نشر المخطوطات التي لم يستطع سكونيك شراءها. و بقيت عند المطران أثناسيوس و يتعلق الأمر بمخطوط أشعيا التوراتي وهو ثاني مخطوط لسفر إشعيا و مخطوط تعليق حبقوق Le Pesher D'Habaquq ودستور الطائفة Les Règles de la Communauté[35].

بعد إتمام البحث في المغارة الأولى واصل البدو بحثهم في كل خربة قمران و حالفهم النجاح عندما عثروا أوائل 1951م إلى غاية 1952م على كمية من الجلود و أوراق البردي المكتوبة بحروف عبرية و آرامية على مسافة 18 كلم من الكهف الأول و تبين أن هذه المخطوطات تعود إلى 70 سنة من تاريخ مخطوطات المغارة الأولى في الكهف الأول و هي عبارة عن جذاذات تضمنت تفاصيل علاقة اليهود بالرومان العدائية[36] و المتمثلة في حرب اليهود الثانية مع الرومان سنة 133–132 ق م بزعامة بركوخيبا بصفته الميسيا "المسيح" المنتظر كما شملت هذه الحصيلة على أجزاء من سفر التكوين، سفر الخروج، سفر التثنية[37]. و هذه التركة التي بلغت حوالي 187 جذاذة و مخطوط تعرف بمخطوطات كهف واد المربعات و هنا أعلن البدو أنهم اكتشفوا المغارة **II**، كما احتوت المغارة الكهف الثاني على ختم من عصر الهكسوس و على جذاذات من الجلد و ورق البردي عليها نصوصا من سفر عاموس و نصوصا منحولة و نصوص من سفر ميخا تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد[38].

و بمساعدة البدو التعامرة تمكن لانكستر هاردنغ و دوفو من العثور على مغارة Vو المغارة الثالثة **III**،و كانت مفاجأة كبيرة إذ تحتوي المغارة رقم **III** على الملف النحاسي و موقع هذا الكهف في عين الفشخة التي تبعد عن خربة قمران بكيلومترين و كان ذلك سنة 1952م[39] و يروي هاردنغ أن ملف النحاس يتكون من مخطوطان نحاسيان نقش على جانبيهما من الخارج بكتابة واضحة ذات شكل مربع (ربما آرامية أو عبرية مربعة). و يتكون المخطوط الأول النحاسي من ثلاث صفحات طول كل منها 80سم و عرضه 30سم و سمكه 1سم[40] و قد ربطت الصفحات الثلاث، و ظهر أن هذا الملف بعد تحليل كتابته أنه يشيد بكنوز الطائفة الإيسينية حيث يصف هذا الملف كنزا ضخما يتألف من اثني عشر قضيبا و من سبائك كلها من الذهب و الفضة و من نقود و أوعية وآنية مقدسة قدرتها الدراسات بمائتي طن من الذهب[41] و هذا أمر مشكوك فيه لأن ليس هناك أي إثبات عل هذا فقد أشار المخطوط ذاته أن هذا الكنز مدفون في خندق قرب الشجرتين بجوار المكان الذي دفن فيه أحد عظماء الطائفة، و لكن تغيرت طبوغرافية المكان وزالت الشجرتان و لم تعد هناك علامات تساعد على معرفة المكان تماما[42].

ثم تواصلت الاكتشافات من سنة 1952م إلى 1955م و تم العثور على يد البدو التعامرة دائما على المغارة رقم **VI** و المغارة رقم**IV** و هي من أغنى المغارات حيث احتوت على أكثر من 550 مخطوطا و من بين ما عثر نسخة من سفر أشعيا كتبت سنة 100 ق م، أعمدة من سفر صموئيل تعود لسنة 325 ق م، عدد كبير من جذاذات أسفار العهد القديم كتبت بالآرامية ساعدت على معرفة

المعاني الغامضة في الترجمة السبعينية، سفر إخنوخ[43]. كل هدا النجاح كان هذا دافعا للسلطات الأردنية إلى إعطاء انطلاقة نشر محتويات المخطوطات و أوكلت المهمة لرولند دوفو، هذا الأخير تلقى تمويلا من أجل ذلك من المتحف الأثري الفلسطيني المعروف حاليا بمتحف روك فيلر Rock Filler و قيل آنذاك أن روك فيلر قبل أن يمول النشر لمدة ستة أعوام أخرى متكلفا برواتب الموظفين و أمانة النشر و تكاليف النشر و حفظ المخطوطات[44].

تضمنت المغارة **IV** أيضا نص تستمونيا وشرح ناحوم و شرح المزمور 37، و قد أعيد نشر هذه النصوص في المجلد الخامس من مجلة Discovries in the Judean Desert التي صدرت سنة 1968م بتوقيع الأستاذ أليغرو JM.Allegro و هناك أجزاء أخرى وجدت في نفس المغارة نشرت في المجلد السابع من نفس المجلة سنة 1682م على يد الأب باييه Baillet[45] كما عثر في هذه المغارة على سفر المزامير القانونية مرتبة بشكل فوضوي على ما هي عليه الآن عددها ثلاثة مزامير، و أيضا أربعة هي خليط من المزامير القانونية و مزامير منحولة[46].

و نجد في هذه المغارة أيضا سفر دانيال، سفر إرميا، نص يشبه كتاب حرب أبناء النور و أبناء الظلام مع اختلافات بينه و بين ما وجد في كهف أخر . كما عثر على سفر توبيت Tobit و هو أحد ا لأسفار المنحولة و يروي قصة منفي يهودي وصل إلى مرتبة عالية في الدولة الأشورية و وجدت أربعة مخطوطات متعلقة به ثلاثة باللغة الآرامية و واحد باللغة العبرية[47].

نقترب من نهاية التنقيبات فنحن الآن سنة 1955م حيث استهدفت هذه المرة مغارات في كهوف متعددة و هي المغارات **VII**، **VIII**، **IX**، **X** بينما اكتشف البدو بالموازاة المغارة **XI** سنة 1956م. وهذه الأخيرة لا تقل أهمية على المغارات **I** و **IV** و احتوت على نصوص أصيلة مثل مزامير داود المنحولة التي لا نجد لها أثر لا في سفر المزامير القانوني و لا في أي موضع من العهد القديم الحالي و من هده المزامير الموموز 151، كما احتوت هذه المغارة على بعض الأعمدة من المزمور 151 لا نجدها إلا في الترجمة السبعينية و السريانية و هي العمود 28. و وجد العمود 18 في المزمور المنحول 154 و العمود 24 في المزمور المنحول 155[48]. وتم أيضا استخراج سفر اللاوين و ترجوم سفر أيوب و مخطوط وصايا الآباء الإثني عشرة، و سفر نوح و سفر عمرام (عمران) والد موسى[49] و سفر قاهت (كوهات) جد موسى، كما تحدثت مخطوطات هذه المغارة على مليكصادق ويعتقد دون الجزم بذلك على أنه ملك سالم الذي بارك إبراهيم و كان من الموحدين ومخطوط آخر لحرب أبناء النور و أبناء الظلام يعرف بمخطوط أحكام الحرب Milhamah آي الملحمة التي ستقع أخر الزمان[50].

و هكذا يكون الكهف و المغارة رقم XI قد وفرت لنا الأصل العبري للمزامير القانونية و المنحولة وزودنا بسفر الحكمة، سفر يوشع بن سيراخ حيث وصلنا أجزاء منه من الإصحاح 39 إلى الإصحاح44[(51)].

أما تنقيبات المغارات **VII**، **VIII**، **IX** فلم تفضي إلاّ على ورق بردي به نصوص ليس لها علاقة مع العهد القديم و لم يعثر في المغارة **X** من الخربة سوى على جذاذات تحمل بعض الحروف مع قطع من الفخار[(52)].

بعد العثور على إحدى عشر مغارة في كهوف متعددة رمز لكل مغارة برقم مرفوق بحرف يرمز لقمران و هو الحرف **Q** فرقمت المغارات بهذا الشكل **Q11,Q10 ,Q9,Q8,Q7,Q6,Q5,Q4,Q3,Q2,Q1**[(53)]. و كل مخطوطات لبحر الميت مكتوبة سواء على ورق البردي أو على جلود الحيوانات مثل الماعز و غيرها مشكلة لفائف جلدية تعرف بالبرشمان[(54)] مكتوب عليها بالخط العبري أو الآرامي بحبر مأخوذ من احتراق عظام الحيوانات.

بعد هذا العرض التفصيلي لكل ما وجد في خربة قمران و البحر الميت ابتداء من سنة 1947م التي تم فيها العثور على أول مغارة ثم تولت الاكتشافات نسأل من ترك هذه المخطوطات التي تحتوي على أقدم النصوص الدينية اليهودية. كل الدراسات و الإشارات تشير أن هذه المكتبة كانت ملك للطائفة الإيسينية و هي إحدى الطوائف اليهودية التي ظهرت قبيل العصر المسيحي بحوالي قرنين أو أكثر تقدير لا يتجاوز ثلاثة قرون، و لنا في سلوكها المغاير للمجتمع و الدين اليهودي غموض كبير يعتريه شبيه بشكل رائع و بدايات المسيحية الأولى مما جعل علماء الأثار و تاريخ الأديان واللاهوت يصفون الإيسنيين بالمجتمع المسيحي المبكر المطالب بتطبيق الوصايا و ا لناموس في نقاوتهما . فمن هم يا ترى الإسينيون ؟

III – الإيسنيون :

مباشرة بعد استخراج مخطوطات البحر الميت، كانت أنظار المختصين في الآثار و اللاهوت والتاريخ و بعد الاطلاع على مخطوطات المغارات متجهة صوب الطائفة الإيسينية و خاصة مخطوط دمشق الذي يشير إليهم و الذي اكشف أجزاء منه في المغارات **I،V،VI**[(55)] بشكل واضح . كان أول من طرح هذه الفكرة هو سوكونيك، ثم أخذت الأبحاث جدية كبيرة على يد كروسCross الذي استند في بحثه على وصف الإيسينين من طرف يوسف فلافيوس و بلين الأكبر Pline L'Ancien فاتضحت الكثير من الدلائل المشتركة بين ما أشاد به فلافيزس و بلين و ما جاء في المخطوطات على أن سكان قمران لا يمكن أن يكونوا إلاّ الإيسينيون[(56)].

لكن التسليم بهذا الطرح ليس بالسهولة بالنظر إلى المواد التي استعملت في كتابة المخطوطات فهي من الناحية الأثرية تفيدنا بزمان و مكان الكتابة بالضبط. و إذا اعتبرنا أن معظم المخطوطات كتبت على جلود حيوانات متنوعة و ورق البردي فهذا يعطينا نظرة على المحيط الطبيعي الذي عاش فيه سكان قمران و المفروض أن تتنوع فيه هذه الحيوانات التي استعملت جلودها في الكتابة، فنجد جلود رقيقة مهيأة بعناية فائقة ملساء متجانسة في البنية أعدت من طرف متخصصين في صناعة الرقائق الجلدية و أخرى نوعا ما سيئة تمتص الحبر قبل أن يجف، أما ورق البردي فمكان نباته هو مصرا . فإذا علمنا أن الإيسنين كانت ممنوعة عليهم التجارة إلاّ في مواد الإستطباب، و إذا نظرنا مجرد نظرة بسيطة على طبيعة منطقة قمران فندرك أن جفافها و قفرها لا يسمح بعيش الكثير من الحيوانات التي توفر جلود جيدة للكتابة و من هنا تطرح إشكالية نفي كتابة المخطوطات في هده المنطقة، من الممكن جدا أن تكون هذه المخطوطات نسخت في موقع أثري أخر ثري وخصب(57). و هكذا يمكن دحض فرضية انتماء المخطوطات للطائفة الإيسنية .

و إذا عدنا إلى نص فيلون الإسكندري الذي صنف كتابه حوالي السنة العشرين بعد الميلاد ذكر فيه اسم الحاسيين في الإسكندرية و فرق بينهم و بين الترابيين فجعل من الأولى فرقة متأملة و من الثانية فرقة عاملة . و جعل عددهم أي عدد الفرقة الأولى أربعة ألاف و أنهم ينبذون الاسترقاق ويعنون بالناحية الأدبية من شرائع أبائهم و يعيشون جماعات بصندوق واحد مشترك و وجبات من الطعام المشتركة و أنهم اشتهروا بالاقتصاد في المعيشة و التواضع و الحب .

و هنا نجد فيلون يضعنا أمام غموض و إشكال مستعصي و هو وجود طائفتان تتشابهان في الأسماء واحدة متأملة و الثانية عاملة و هذا ما كان عليه سكان قمران التأمل و العمل زائد الصفات الأخرى التي ذكرها فيلون، فهل يمكن أن يكون الحاسيون هم الإيسنيون و استبدل الاسم فقط بعد استقرارهم في قمران(58) قادمين من الإسكندرية. كما يتناسب هذا جيدا مع طبيعة المادة التي كتبت بها المخطوطات فهي متوفرة في مصر.

و يحدثنا فيلون على جماعة من نساك يهود الإسكندرية اعتزلوا قومهم و انقطعوا للتعبد و عرفوا باسم التيرابوتيون Terapeutytheo، و يرى محمود عباس العقاد في كتابه حياة المسيح ص15 أنهم ليسوا إلاّ الإيسينين لأنه يرجح أن اسمهم مأخوذ من كلمة الأسي بمعنى الطبيب و هي تقابل كلمة Thérapeute في الأصل الإغريقي(59). و تعرفنا أكثر على نظمهم الدينية و الاجتماعية سيساعدنا أن ندرك إن كانت هده الأخيرة تتوافق مع ما ذكره فيلون أو لا .

تشير تسمية الإيسينين إلى ملة يهودية وجدت قبل العصر المسيحي، و كانت معاصرة للصادوقيين و الفريسين . و استمر الفريسون بعد دمار الهيكل الثاني من قبل الرومان سنة 70م ليشكلوا النواة الجديدة للحاخمية اليهودية .في حين اختفى الإيسينيون دون سابق إنذار تاركين وراءهم هذا الإرث الذي عثر عليه في قمران، و مع ذلك فقد ظلوا معروفين في النصوص القديمة كما سبق الذكر. والنقاش و الجدل المثار حولهم لم يكن مرتبط مع اكتشاف نصوص قمران بل أقدم من ذلك إذ يعود إلى 1910م بعد اكتشاف وثيقة دمشق ضمن وثائق الجنيزا Les Documents de la genizah بالقاهرة بحيث رأى اللاهوتيون في وقتها أن هذه الوثيقة كتابا مسيحيا متأثرا باليهودية و لم يطرح الأصل الإيسيني إلاّ نادرا[60].

و بعد اكتشاف المخطوطات أعيد طرح قضية الوجود الإيسيني، و كانت الفرضية الأكثر قبول هي تلك التي طرحها أستاذ اللغة و الحضارة السامية بالسربون أندري دو بون سومر 1950م(61) و تقول أن سكان قمران كانوا من الإيسنين Les Esséniens استنادا لما ذكره بلين الأكبر حيث أشار إلى وجود منشأة إيسينية شمال عين جدي كما جاء في سفر يوشع المذكور أنفا15: 62 الأمر الذي يوافق المرتفع المكتشف في قمران، و هو يصفهم في مقطع قصير في مؤلفه التاريخ الطبيعي Histoire Naturelle بأنهم نساك هجروا المال و الزواج"[62].

أما يوسف فلافيوس فكان أكثر دقة في وصف حياة الإيسينين هو يصف احتقارهم للثراء المادي وزهدهم و كرههم للنساء الذي يصل عند البعض منهم إلى رفض الزواج، و اختيار التبتل، وتقاسمهم للخيرات و عادتهم في الصلاة و اهتمامهم الزائد بالطهارة و اهتمامهم بالدراسة و المعرفة وتعلم الأسرار و خضوعهم لنظام تراتبي و تفردهم بقراءة المستقبل . و تقدم لنا نصوص قمران وخاصة دستور الطائفة تفاصيل موافقة أكثر من نقطة مع هذه المعلومات التي ذكرها فلافيوس[63].

أ التسمية : فقد ذكرنا من قبل أن فيلون سماهم التيرابوتيون Terapeutytheo لأنهم اهتموا بتطبيب الناس مجانا و تقربا إلى الله و كلمة Thérapeutytheo بالإغريقية تعني معالج أو طبيب، كما تعني أيضا الخادم و بالتالي يمكن أن تعني خدام الله، و يرى محمد البار أن كلمة الإيسينين مثله مثل محمود العقاد هي مشتقة من اللغة الآرامية و اشتقت منها الكلمة العربية الآسي أي المداوي[64]، لأن هذه الكلمة مليئة بالغموض إذا حاولنا معرفة أصلها الإغريقي إيسينوس Essenos أو Essenis ولا يعرف بالضبط مصدر اشتقاقها و تنوع الآراء حول المعني اللفظي لهذه الكلمة بين الصامتون، الممارسون، الأتقياء، الراؤون، الشافون، المتشيعون. وكان الإيسينيون يصفون أنفسهم بالورعين والقديسين و الكاملين[65].و أنهم كانوا يخضعون للتعميد Le Baptême و لرئيس أعلى يرأسهم هو

سيد العدالة Maitre De Justice[66] و بعد موته خضعوا لأحد الرهبان في انتظار المخلص من نسل داود[67].

و إن كان من الشبه المؤكد أن وثائق البحر الميت تعود للإيسينين، فإن ذلك لا يفسر الكثير من الغموض حول تاريخ الملة أو الطائفة، فمن جهة تعود وثيقة دمشق إلى ما بعد إستلاء الملك الكلداني نبوخذ نصر على أورشليم سنة 587 ق م بـــ 390 سنة بعد هدا الحدث و تضيف الوثيقة عشرين سنة إضافية مرت قبل أن يرسل الله سيد العدالة و يسمى أيضا معلم الحق، هذا يعني أن سيد العدالة بدأ تعاليمه 177 ق م أي قبل ثورة المكابين[68].

و نجد في شرح حبقوق لدى دخول الرومان إلى أورشليم تفسيرا تأخذ به الملة أن هذا الحدث التاريخي هو عقاب من الله لأعداء معلمهم، و هذا يعني إرجاع مقتل سيد العدالة إلى ما قبل سنة 63 ق م بقليل . و كان أندري دو بون سومر يِؤكد فرضية أن الكاهن سيد العدالة قتل و أنهى رسالته قبل سنة 63 ق م.

لكن مختصين آخرين يرون أن سيد العدالة بدأ رسالته نحو الفترة التي كتبت إفيها وثيقة دمشق وطابقوا بينه و بين رئيس الكهنة الذي توفي سنة 159 ق م و كان قد استبعد من طرف يوناثان أو جوناتان و بالتالي يكون هذا الأخير هو الكافر الذي يتحدث عنه شرح حبقوق[69].

و حاليا يصعب علينا حلّ معلومات وثيقة دمشق و شرح حبقوق حلاّ نهائيا لنقص معطياتهما . ولهذا يرى غالبية علماء اللاهوت اليوم أن عبارة سيد العدالة أو معلم الحق لقب حمله أكثر من شخص بالتعاقب . و مما يزيد الأمر سوءا أن وثيقة دمشق تعطي أسما آخر لسيد العدالة هو الباحث عن الشريعة و تشير بقدومه بنفسه إلى دمشق و جعل من دمشق المكان النموذجي للهجرة[70]. هذا المعطى جعل من أندري دو بون يعلن أن سيد العدالة و كأنه النموذج الأصلي للمسيح و يشير بوضوح إلى الترابط الموجود بين فكر و مذهب كل من سيد العدالة و السيد المسيح، كلاهما بشرا بالتوبة و انتهاج حياة التقشف و التواضع و حب الآخر و العفة و كلاهما تمسكا بشرع موسى. و أطلق عليه اسم المختار و مسيح الله . و كلاهما تعرضا لعداوة رجال الدين اليهود و يعود في نهاية الزمان[71]. و يضيف محمد البار في كتابه دراسات معاصرة في العهد الجديد أن هذه الجماعة كانت تنتظر مجيء نبي أخر الزمان من فاران "مكة" حيث وجهوا وجوههم نحوى الجنوب في صلاتهم كما دفنوا موتاهم اتجاه الجنوب و بالنسبة للبحر الميت هدا اتجاه مكة[72].

بـ – الحياة الدينية و الاجتماعية لدى الإيسيين :

الجانب الديني

ارتبطت الحياة الدينية و الاجتماعية لدى الإيسيين ارتباطا وثيقا . فهم كما جاء عند بلين و فلافيوس و فيلون الإسكندري طائفة دينية بالدرجة الأولى Secte و كل المنضمين لهذه الطائفة هم رهبان Des Moines يمارسون طقوسا دينية لا تختلف عن المسيحية الأولى بحيث يرتكزون على التعميد Le Baptême للانضمام

كأعضاء للطائفة تحت إشراف سيد العدالة[73]. و يضيف يوسف فلافيوس في كتابه حروب اليهود أن الإيسنيون ولدوا يهودا و تحابوا أكثر من غيرهم و اعتبروا لذات الجسد سرورا و ذنوبا واعتزوا بالعفة و التعفف و جعلوا من التغلب على الشهوات فضيلة، و هم يهملون الزواج أيضا و ينتقون من أولاد غيرهم الذكور و يعتبرونهم منهم لقابليتهم للتعلم و التطبيع بطبائع الإيسينية[74]. و في نفس الوقت لا ينكرون فضل الزواج و حفظ النسل و إنما يحذرون من سلوك النساء[75].

ما أشار به المؤرخون القدامى لا نجده يتنافى و دستور الطائفة الذي اكتشف في المغارة الأولى **Q1**و قد نشره Brrows في كتاب تحت عنوان "كتاب النظام" طارحا محتوى الإحدى عشر عمودا المشكل للمخطوط[76]. و يمكن تقسيم دستور الطائفة إلى ثلاث أقسام رئيسية هي :

– الدخول في ميثاق الطائفة.

– قوانين مجلس الطائفة .

– توجيهات سيد العدالة و تراتيله.

و إذا تأملنا في هذا الدستور وفق هذه الأقسام الرئيسية نلاحظ أن سيد العدالة سيعلم القديسين الإسينيين ليعيشوا طبقا لدستور الطائفة حتى يبتغوا مرضاة الرب بقلب خاشع و روح مطمئنة[77] وينفذوا إرادته حسب أوامره التي أفضى بها إلى موسى و إلى جميع عباده الأنبياء حتى يحبوا ما اختاره و يكرهوا ما نهوا عنه و لكي يمتنعوا عن كل الشّر و ليتمسكوا بكل ما هو خير، و ليمارسوا أعمال الصدق و الحق على الأرض و ليتوقفوا بإصرار عن إتباع القلب المذنب، و هو سيقبل في ميثاق نعمته كل من أوقفوا أنفسهم على التقيد بمفاهيم الرّب، و الذين سوف ينظمون إلى مجلس الرّب و يعيشون بين يديه، طبقا لما قد كشف لهم من زمنهم . و ليحبوا جميع أبناء النور و ليكرهوا كل أبناء الظلام. و إن كل الذين يختارون بمحض إرادتهم أن يكرسوا أنفسهم لمقام الصدق الرّباني يجب أن يقدموا كل علومهم و أموالهم إلى جماعة الرّب . و لا يجوز أن ينحرفوا عن أوامر الرب . و كل من يعتنق قانون الطائفة يدخل في الميثاق أمام الرب و يطيع جميع أوامره و لا يهجره أثناء

حكم أبناء الظلام و الشيطان بسبب الأوهام. و عند الدخول في الميثاق يحمد الكهنة رب الخلاص و يحمد معه جميع المخلصين و يردد كل من يدخل في الميثاق كلمة أمين[78].

و من الأسرار التي ينقلها سيد العدالة للطائفة مفهوم نهاية الأزمنة، أو الرِؤى الأخروية . و على مفهوم نظام الزمن و أدواره كتب مخطوط الحرب. و هو مخطط وضعه الله من أجل العالم في كافة مراحله المختلفة بحيث يؤول دائما مخطط الله للانتصار، و إن تعرض أحيانا للانتكاس . و نهاية الأزمنة هو الحدث الجلل الذي سيملك الله فيه العالم و يسوده و نحن في المرحلة الأولى منه[79].

و عندما يدخل الرجل في دستور الطائفة سيسير وفقا لهذه المبادئ حتى يستطيع أن يبلغ مبلغ القديسين مدة سنة كاملة . بحيث تعتبر هده سنة اختبارا في القانون الطائفة له دون إكراه، فيفحص فيها روحه بالنسبة لفهمه و ممارسته للشريعة التي تطوع ضمن أعضاء الطائفة إلى العودة إليها وإلى الميثاق مع موسى. كما على الشخص الجديد في الطائفة أن يحترم المرتبية بحيث يطيع فيها الرجل ذو المرتبة الدنيا الرجل ذو المرتبة العليا. وإذا نجح يخضع بكل إرادته لمدة لسنتين أخرتين لنفس الاختبار . و ما إن يقبل ضمن أعضاء الطائفة يواصل باستمرار فحص معنوياته حتى يرتقي طبقا لفهمه و كمال صفاته و الأعمال الحميدة . أو العكس ينزل مرتبة طبقا للآثام التي اقترفها[80] مثل التلاوم و توبيخ أحدهم . و لا يجوز مخاطبة الرفقاء بغضب و الاسترسال في الإثم، أو العناد والحسد لأن ذلك سببه روح الشّر، كما لا يجوز أن يكره قلبه بسبب الضغينة و عليه يجب معاقبة القلب في اليوم الذي اقترف فيه هذا الخطأ و فوق ذلك لا يجوز لأي رجل أن يتهم رفيقه أمام جماعة المصلين دون أن ينصحه أمام الشهود[81]. و أهم ما كان يصر عليه الإيسينيون هو الطهارة الروحية و الجسدية . فقد كانوا على مواعد كثيرة للاغتسال و الوضوء Ablution سواء قبل الأكل جماعيا في الطائفة أو قبل أداء طقس الصلاة أو عند ملامسة أحد الغرباء عن الطائفة أو ملامسة أحد الداخلين الجدد في الطائفة الذي لا يزال غير مثبت ضمن أعضاءها[82].

يبدأ اليوم لدى أفراد الطائفة بالصلاة[83] و يكون موعدها عند الفجر قبل شروق الشمس بعد أداء واجب الوضوء، يصلون جماعيا في صفوف متجهة نحو الجنوب و يؤكد محمد البار على أنه اتجاه فارن أو مكة[84]. و لا ينطقون بكلمة واحدة تتعلق بأمور الدنيا قبل الصلاة .وبعدها يتوجهون لممارسة عملهم اليومي بكل نشاط إلى غاية ما بعد العصر[85] مع توقف في الظهيرة يجتمعون أثناءها في طقس التطهير بالماء و طلب الغفران و لبس الثياب الأبيض ثم يتناولون غذاءهم الذي يطهوه رهبان خاصين جماعيا[86]، فيضع الخباز أمامهم أرغفة الخبز بالترتيب ثم يقدم الكاهن الطاهي لونا واحدا من الطعام في صحن واحد أمام كل منهم و يصلي سيد العدالة قبل الطعام وبعده

و هم يشكرون الله في البداية و النهاية . بعدها يخلعون ثيابهم البيض و يعودون لأشغالهم إلى غاية ما بعد العصر تحديدا عند غروب الشمس يؤدون الصلاة و يعودون لتناول العشاء بطريقة نفسها[87] و كأنهم يؤكدون على طقس الإفخارسيا Eucharistre[88] في شكلها الأول الذي تم غرسه بعد ذلك في الديانة المسيحية. و هذا الطقس ليس له علاقة بالديانة اليهودية فهو يتنافى تماما مع الشرع اليهودي. و توضح بشكل قطعي أنه كان من ممارسات الطائفة، مما يضع المسيحية الكنسية اليوم على المحك حول تاريخ بدايتها كما يشير إلى ذلك أندري دو بون سومر فهو يركز على الترابط الكبير بين الإيسينيين و المسيحية الأولى.

الجانب الاجتماعي

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية الإيسينية فهي نوعا ما فقيرة من حيث الحراك الاجتماعي إذ تقتصر على نمط الحياة الجماعية فكل أملاكهم مشاعا بينهم . و عليه إذا دخل أحد الجدد ضمن أفراد الطائفة فعليه أن يسلم

طوعا كل ما يملك للطائفة[89]. فلا ترى بينهم ظاهرة فقر أو غنى، يعتبرون عرق الجسم خيرا، لذلك قدسوا العمل. و ليس لأحد منهم مصلحة خصوصية و إنما العمل لمصلحة الكل. أما أثناء تنقلاتهم البعيدة كانوا لا يحملون شيئا معهم إلاّ أسلحتهم خوفا من التعدي عليهم[90]. و عرفوا بالزهد والاعتدال و اعتقدوا أن المال هو عبارة عن وسيلة لجلب ضروريات الحياة فقط . و مظهرهم يوحي بالبساطة سواء في المأكل كما تم توضيحه مما جعل بنيتهم نحيلة، أو في الملبس إذا لا يقتنون ألبسة جديدة حتى تصبح ألبستهم خرقا بالية و لا يدهنون أنفسهم بالزيت كما كان يفعل الرومان لأنهم يرون في ذلك نجاسة للجسم[91]. نمط حياتهم هذا جعل الكثير منهم يعمر في الحياة و منهم من يعمر أكثر من مئة سنة حسب ما أشاد به فلافيوس ويرون من خلال عقيدتهم أن الأجساد قابلة للفساد و لا تدوم لهذا التزموا بالتقشف . و أن النفوس فقط خالدة مستمرة إلى الأبد ولهذا اهتموا بالصلاح و التقوى و التعلم[92]. و عقيدتهم تقضي بالإيمان بالقضاء و القدر على الإنسان و الروح هي التي ستكمل الحياة بعد الموت[93].

من الناحية العلمية و العملية ابتدع الإيسينيون تقويما فريد من نوعه جد غامض و مبهم . و هو تقويم يقوم على تقسيم الأزمنة و أيام الأعياد، بحيث يتوافق مع مدلولات رمزية كما يوضحه لنا مخطوط الهيكل . إن أفراد الملة كانوا يستخدمون تقويما من364 يوما في السنة، و يتألف كل فصل من شهرين،شهر واحد من 30 يوما والشهر الأخر يتكون من 31 يوما. و تتكون السنة من 52 أسبوعا كما تبدأ بيوم الأربعاء . و يبدأ الشهر الثاني من كل فصل بيوم الجمعة . و تأتي الأعياد

في كل سنة في تاريخ ثابت . و الشهر الأول من العام هو شهر الفصح . و لا نعرف كيف تمكن الإيسنيون من موافقة هذا التقويم مع السنة الشمسية، و مما يلاحظ على هدا التقويم هو يتميزه عن التقويم القمري الذي كان يستخدمه اليهود الذي من خلاله تقام الأعياد الدينية اليهودية[94]. و هذا ما يعني أن أعياد الإيسينين كانت تقاوم في تواريخ مختلفة عن أعياد اليهود .

أما علاقتهم بالمعبد في أورشليم لم تكن على ما يرام مع أنهم أصحاب وجهة نظر أن تكون هناك أماكن لممارسة الشعائر الدينية في أورشليم، و لكنهم كانوا معترضين على الطريقة التي يسير بها المعبد في أورشليم و لا على طريقة تقديم القرابين، لأجل هذا كانوا يبعثون بعطاياهم للمعبد دون أن يشاركوا في طقوس القرابين[95]. و أكثر جدال كان بينهم و بين المعبد هو حول الأعياد الدينية التي كانوا يتبعون في إقامتها تقويما خاصا بهم كما سبق و أن ذكر أنفا بعيدا عن الذي كان مستعملا عند اليهود . فقد كانوا في محيط منعزل بعيد عن أورشليم سمح لهم بتطوير مفهومهم الدّيني ومعتقداتهم و طقوسهم التي لم تكن قادرة على التأثير في ديانة كبيرة إلى حد وقتهم قائمة وهي الديانة اليهودية مما خلق هذا ا النوع من التنافر بينهم[96]. و مع عدم تأثيرهم كذلك في المجتمع اليهودي القائم آنذاك عل الانحلال إلاّ أن واجبهم الحربي مع أبناء جلدتهم كان واجبا مقدسا و يحتم عليهم الدخول في مساندتهم . فقد شاركوا في قتال الرومان حين هاجمت فيالق الرومان أورشليم والهيكل سنة 70م [97].

IV مكتبة الإيسينين :

خلاصة كشف لنا موقع وقمران على إحدى عشر كهفا مليئة بالمغارات العامرة بعدد هائل من المخطوطات حول النشاط الديني للطائفة الإيسينية . و تحتوي كذلك على أقدم مخطوطات وجذاذات للعهد القديم في كل أسفاره سواء القانونية أو المنحولة Apocryphes . و عدد المخطوطات التي وصلتنا كاملة هي أحدى عشر مخطوطا يتصدرها مخطوط أشعيا الذي عثر عليه أولا في المغارة الأولى . و يشمل تقريبا الإصحاحات 66 المشكلة للسفر و نستطيع أن نصنف هذه المخطوطات إلى ثلاثة أقسام هي :

1- المخطوطات التوراتية .

2- مخطوطات الأسفار المنحولة .

3- المخطوطات الخاصة بالملة.

1- المخطوطات التوراتية : تشمل ربع المخطوطات المكتشفة و من ضمنها كل الأسفار التي توجد في القانون العبري ما عدى سفر أستير و هي كالتالي :

– **الأسفار الخمسة (توراة الأخماس)** : مخطوط الخروج في المغارة **Q4**، مخطوط العدد في المغارة **Q4**[98].

– **أسفار الأنبياء أو النفييم:** أهم مخطوطات هذا الجزء من العهد القديم هي مخطوط لسفر الملوك في المغارة **Q4** و مخطوط سفر صموئيل في المغارة **Q4** و يرجع زمان تدوينه إلى القرن 3 ق م[99]. أما بالنسبة لباقي مخطوطات الأنبياء، فلدينا المخطوط الأكبر و الأكمل هو لسفر أشعيا وجد في المغارة **Q1** و المخطوط الثاني له و الذي عثر عليه أيضا في **Q1** و هو نص من النوع الشعبي و عثر على مخطوط لسفر حزقيال و مخطوط لسفر إرميا و مخطوط لسفر الأنبياء الصغار.

– **مخطوطات أسفار الكتابات المقدسة أو الكتوبيم Hagiographes** فقد عثر على مخطوطان لسفر أيوب أحدهما مكتوب بالعبرية المربعة . أما المخطوط الثاني فهو ترجوم لسفر أيوب de job targoum بالآرامية في المغارة **Q11** . كما احتوى هذا الجزء من أسفار الكوتوبيم ضمن مكتشفات قمران أحدى عشر مخطوطا من المزامير و مخطوطا منحول منه و هو المزمور 151 في نفس المغارة . أما عن سفر دانيال فقد عثر على سبعة مخطوطات منه[100]، و زودتنا المغارة الأولى دائما على مجموعة مخطوطات الأناشيد Hadayot بالعبرية و وجد ستة منه في المغارة الأولى بحالة سيئة[101]. و عثر أيضا في المغارة **Q1** على تعليق حبقوقPesher d'Habaquq مكتوب بالخط العبري و هو يشير إلى استيلاء الرومان على أورشليم[102]. و ضمن هذه الكوكبة من المخطوطات نجد تعليق ناحوم Pesher de Nahum الذي نشره اليغرو J.M.Allegro ثلاث مرات إحداها في مجلة Discovries و يحتوي عل معلومات ذات أهمية استثنائية على الفرق اليهودية الصادوقية و الفريسية[103].

2– الأسفار المنحولة Apocryphes: أما المخطوطات ذات الحظ الوافر في مغارات قمران هي تلك الأسفار المعروفة تحت اسم الأسفار المنحولة و هي المجموعة التي لم نعثر لها على أثر ضمن العهد القديم العبري

القانوني أو ضمن العهد القديم الكنسي (الكاثوليكي و البروتستانتي) . بسبب الشرعية و القداسة . وهي أسفار ذات نمط رؤيوي في معظمها . من هذه الأسفار جذاذت من سفر إخنوخ بالآرامية في المغارة **Q4** و سفر الجامعة و رسالة أرميا و أربع مخطوطات لسفر توبيت المنحول ثلاثة منه مكتوبة بالخط الآرامي و واحد بالخط العبري و مخطوط يمثل الإصحاح السادس من الآية 20 إلى الآية 31 من سفر يوشع بن سيراخ . و عثر أيضا على الوصايا للآباء الإثني عشر في المغارتين

Q1 و **Q4** و منها وصية لاوي بالآرامية و وصية تفتالي بالعبرية . و سفر التكوين المنحول و هو شرح لسفر التكوين لكن باللغة الآرامية في المغارة **Q1**(104) و هذا المخطوط لا يشكل إلاّ جزءا بسيط من مؤلف ضخم ضاع معظمه و يروي شرح سفر التكوين المنحول ولادة نوح، و لا يرتبط بسفر التكوين الحالي إلاّ من خلال الإصحاح السابع . كما تضمن الرِؤيا الليلية لإبراهيم . و عثر على أسطورة مليكصادق بالعبرية في المغارة **Q11** و محورها شخصية مليكصادق كرئيس لجماعة من الأبرار و مخلص و ملك لنهاية الدهور(105)، هدا و لا يوضح لنا المخطوط إن كانت هذه الشخصية هي مليكصادق (ملك سالم) الذي أعطاه إبراهيم عشر كل شيء حسب سفر التكوين(106). و بعد دراسة المخطوط تمت مطابقة مليكصادق مع ميكائيل رئيس الملائكة و هو رئيس أبناء النور و عرض في المخطوط و هو يترأس الحساب الأخير(107). و من الأسفار المحولة أيضا مخطوط قصة يوسف و أسنات ومخطوط حياة آدم و حواء كتب بالإغريقية و استشهاد إشعيا . و تتميز هذه المجموعة الأخيرة أنها كتبت باسم مستعار، و أهملت مؤلف استشهاد أشعيا و قصة يوسف و أسنات(108). أما في المغارة **Q7** فقد عثر على رسالة إرميا مكتوبة باللغة الإغريقية (109).

ضمن هذه الأسفار المنحولة وجد سفر رؤيا للامك Apocalypse de Lamech و يعتبر من أهم مخطوطات المغارة Q4 يشمل على أربع أوراق من الجلد و بمجمله يحتوي على أثنى عشر سطرا مكتوبة بالآرامية ربما يكون هو الأصل لسفر دانيال(110). كما تضم مجموعة الأسفار المنحولة مخطوط التستيمونيا Testemonia عثر عليه في المغارة **Q4** و يفيد عن آمال الملة في مجيء المسيح من قمران و انتصار النبي في آخر الأزمنة(111).

3– كتب الملة : اشتملت مخطوطات قمران على كتب خاصة بالطائفة الإيسينية و تتمثل في دستور الجماعة، درج الهيكل أو كتاب الهيكل، كتاب دمشق و أخيرا تنظيم الحرب .

– **دستور الجماعة** : هو أيضا من أهم المجموعة التي تم العثور عليها في المغارة **Q1** عند بداية التنقيب(112) و هو نسخة غير كاملة لمؤلف شعبي في قمران، فبعد مدخل عن أسس الدعوة، يأتي الحديث عن قسم الدخول في الملة ثم التخلي الكامل عن المال و الشّر كما يتعلق بالتنظيم الداخلي للطائفة : التراتبية، الموردين (المنظمين الجدد)، واجب الطاعة، واجب الدراسة الدائمة والتوبة(113).

– **مخطوط درج الهيكل:** وجد في المغارة **Q11** حيث أشار ياجيل يادين Yageal Yadin إلى وجوده، هذا المخطوط يعالج عقوبة الموت، نشر بأكمله لأول مرة من طرف يادين Yadin 1988م. يتألف هذا المخطوط من 19 ورقة من الجلد مخاطة مع بعضها البعض و بهذا يكون أطول وثائق قمران من حيث المحتوى و ثمة معطيات تشير أنه كتب على مراحل، منها ما يعود إلى القرن الأول

ميلادي و مرحلة أقدم تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد و بعض أجزاءه هي اليوم محفوظة في متحف روكفيلر . و قد كتب هذا المخطوط بالعبرية التوراتية مع عناصر من العبرية المشناوية (التلمود)[114].

– **كتاب دمشق :** يأتي هذا المخطوط ضمن المخطوطات الخاصة بالطائفة الإيسينية و هو غير مخطوط دمشق الذي عثر عليه ضمن وثائق الجينزا بالقاهرة بين عامي 1896–1897م . و يتألف هذا المخطوط من جزأين أساسين حيث يعالج أحداث تاريخ فلسطين و يتضمن تعاليم تشبه تلك الموجودة في مخطوط الهيكل و من المرجح أنه كتب بين عامي 63–48 ق م[115].

– **مخطوط تنظيم الحرب :** وجد مخطوط تنظيم الحرب بين أبناء النور و أبناء الظلام في المغارة الأولى **Q1** منذ 1947م و قد نشره سكونيك . كما تم الإعلان عن اكتشاف ست نسخ عن مخطوطات تنظيم الحرب في المغارة **Q4** و يتألف هذا المخطوط الذي يصل طوله إلى 2.90 م من خمسة أوراق كاملة من الجلد[116]. هدف هذا النص هو الإشارة إلى حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام و يكون النصر في نهاية الحرب لله و يشير ذات المخطوط أن هذه الحرب بدأت في العهد الإيسيني و هي ربما إشارة إلى مشاركة الإيسينين في حرب اليهود ضد الرومان.

V– تأثير مخطوطات البحر الميت على مصداقية العهد القديم:

يحدد الرأي العام للباحثين الذين خاضوا غمار البحث في مخطوطات البحر الميت تاريخها فيما بيم القرن الثاني قبل الميلاد إلى غاية اندثار الطائفة الإيسينية القرن الأول الميلادي، مع وجود جزء معتبر من هذه المخطوطات و الجذاذات تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد . و هكذا نحن أمام أقدم مخطوطات أصلية للعهد القديم، ذات كتابة عبرية و آرامية سبقت أو بالأحرى كانت خفية على نساخ و حاخامات الماسور الذي يعود إلى القرن الثالث عشر ميلادي على أكثر تقدير، و من خلاله نسخ العهد القديم المتداول حاليا في جميع الكنائس المسيحية و معبد القدس . و قد نسخ حاخامات الماسور العهد القديم من أقدم نصوص كانت بحوزتهم و التي لا يتعدى قدمها القرن التاسع الميلادي. و من خلال ما تقدم من شأن هذه المخطوطات يحق لنا الآن أن نتساءل على ماذا اعتمد نساخ العهد القديم ما قبل النص الماسوريتي ؟ و المقصود بدلك نسخ بن أشير و غيرها هل على أصول عبرية نفتقدها الآن أم على روايات شفهية تحمل الكثير من الأغلاط و المغالطات التاريخية و توجهات خاضعة أساسا على مبدأ الفرق و المذاهب الدينية اليهودية. و هنا في هذه الدراسة ظهر لنا فرقة أو طائفة تختلف كليا عن الطوائف الأخرى مثل الصادوقية و الفريسية مؤسسة الحاخامية و تعود إليها تلك الشروحات الدينية المعروفة تحت اسم التلمود، بحيث لم يرق

للطائفة الإيسينية ما آل إليه الوضع الديني و الكتابات المقدسة فانتهجت طريقا آخر محاولة من خلاله العودة إلى أصل التشريع الموسوي .

إن مخطوطات البحر الميت لتضع باحث التاريخ في الأديان و باحث اللاهوت و الآثار أمام وضع مبهم و صعب في تحديد مصداقية معطيات العهد القديم و أيضا العهد الجديد أي الكتاب المقدس برمته، لاسيما أن تأخر نشر محتوى هذه المخطوطات بات يؤكد الشكوك حول الكتاب المقدس، والتعقيد الذي واجهه النشر يزيد من الإبهام . و بعد نشر ما أمكن نشره اتضحت كثير من الاختلافات سواء نسخية أو جوهرية بينها و بين ما هو موجود حاليا في الكتاب المقدس . و يفهم من دائرة المعارف البريطانية أن وثائق البحر الميت ليست متطابقة تماما مع النص الحالي للعهد القديم[117] و نحن مع السف لا نستطيع التأكد من ذلك بسهولة لأن معظم الوثائق تقريبا استقرت في إسرائيل.

كما أن هناك تساءل آخر حول ما أخرج من كهوف قمران من مخطوطات هل هي كلها أم ما أخرج يفوق بكثير تلك التي تم تصنيفها و تسجيلها بعد ذلك .

و منذ اكتشاف المخطوطات و طوال الأعوام التالية أصبحت هذه الوثائق مجال تجارة مربحة إذ كانت أجزاءها تنتقل عبر الحدود بين الضفة و دولة إسرائيل بينما الحفائر تتوالى . بعدها تودع في متحف الآثار الذي عرف باسم متحف روكفيلر تحت مسؤولية قسم الآثار بالأردن الذي يرأسه لنكستر هاردنغ و المدرسة التوراتية الأركيولوجية الفرنسية بالقدس. و ما إن انتهت حرب 1967م حتى وضعت دولة إسرائيل يدها على كل المخطوطات المصرح عنها[118]. و إجمالا هذه المخطوطات تمثل قرابة إجمالي العهد القديم ما عدى سفر أستير .

و إذا كان بارت أهرمانBart Ehrman قد أشار بوضوح إلى أنه لا يمكن التقليل من أهميتها بالنسبة للمسيحية الأولى، نلاحظ تكتم الباحثين اليهود في إظهار حقيقة ما تحتويه تلك المخطوطات المتعلقة بالعقيدة اليهودية و منذ عام 1960 ساد الصمت حول هذه المخطوطات لمدة 25 سنة إلى غاية منتصف عقد الثمانينات من القرن العشرين عندما قام الأثري الإسرائيلي يادين بنشر مخطوط الهيكل[119].

إن معظم ما نجده في هذه المخطوطات و المتعلقة بالعهد القديم، إما موافق في بعض المواطن أو معارض للعهد القديم القانوني، و منه ما يوافق التوراة السّامرية، و منه ما يوافق الترجمة السبعينية و السريانية و منه ما أخفي تماما و لم يتم الاعتراف به . هل هذا من أجل تحصين العهد القديم من أي نقد جديد و خاصة أن هذه الوثائق تعتبر في المقام الأول أثرية و من السهل جد إثبات تاريخيتها

عن طريق فحص المخطوطات بالكربون المشع و الطيف التدريجي الجماعي و الذي فعلا حدث ابتداء من تسعينيات القرن العشرين و هي تقنية جد حديثة لإثبات تاريخية هذه المخطوطات[120]. فقد ألغت هذه الوثائق الكثير من الأخبار التاريخية التي وردت في جميع أسفار العهد القديم . وتعود لها مكانة فريدة بعد بردية ناش أقدم وثائق الديانة اليهودية حيث تحمل نصوص الوصايا العشر فظهر أن نصوص المخطوطات المكتوبة بالعبرية و الآرامية[121] أقدم منها و فيها مخطوط موسى الذي يمكننا الآن مقارنته ببردية ناش .

إن نصوص مخطوطات البحر الميت متميزة بطبيعة مدهشة في شكلها العام، و لدى المقابلة بين النصوص الدينية اليهودية و بين ترجماتها القديمة من سبعينية و سريانية و لاتينية نجد في الغالب فوارق بينهم مردها إلى أخطاء النساخ و إهمال اللفظ و التركيز عليه. و بالمقارنة تمتاز لفائف قمران للعهد القديم لاسيما الجذاذات بتدقيق كبير لا تختلف عن العهد القديم الحالي فقط في الكلمات والصياغات العامة بل أيضا في التباين في السفر الواحد نفسه عندما يجري تفحصه على عدة مخطوطات. باختصار لقد فتحت هذه النصوص حقبة جديدة من تاريخ نقد نصوص الكتابات المقدسة اليهودية[122].

و يؤكد هارشل شانكس Hershel Shanks في نهاية المقدمة التي وضعها للكتاب الجماعي الذي أشرف عليه بعنوان مغامرة مخطوطات البحر الميت وجود مخطوطات أخرى خفية و أن آخر مدير بريطاني لقسم الآثار بمتحف الأردن لانكستر هاردنغ أبلغ العالم شتراجنيل Strugnels بذلك و هو على فراش الموت و أن أحد البنوك بالأردن هو الذي يمتلكها و يحافظ عليها بعناية كبيرة جدا إذ أنها تمثل مجال استثمار أعلى بكثير من بورصة إسرائيل أو حتى بورصة نيويورك[123].

و حاول بعض اليهود و المسيحيين أن يجعلوا من هذه الاكتشافات دليلا على صحة كتبهم و وثيقة تاريخية تثبت سلامة الكتاب المقدس متأملين ذلك من التحريف و التبديل و هي محاولة غير ناجحة حيث أن مخطوطات البحر الميت لم تشهد لنص واحد من النصوص اليهودية و المسيحية حتى تعد دليلا على صحته، بل تضمنت نصوصا تشهد للتوراة العبرية و أجزاء من العهد القديم و أخر تشهد للتوراة السامرية، و أخرى للتوراة السبعينية، فلو كانت نصوص قمران شاهدة على إحداها لقلنا أن المشهود لها هي التوراة الصحيحة و لقلنا أن المشهود له من باقي العهد القديم هو الصحيح، أما أن تشهد على الاختلافات بينهم جميعا فهذا أكبر دليل على أننا أمام مصدر ديني يحوم الشّك بقوة على نصوصه، و هو آهل لأن يكون حقل نقد كبير، بدأ قبل ظهور نصوص قمران و ما هذه الأخيرة إلاّ أن تكون مرحلة المستقبل في هذا الحقل.

و لا شك أن هذه المخطوطات توضح لنا مدى الصراع الذي كان قائما داخل المجتمع اليهودي . وأمام إبعاد الكهنة الصادوقيين لم يبقى من التراث الديني اليهودي إلى شروحات التلمود في غياب نصوص دينية قديمة مما أدى إلى سيطرة عقيدة الفريسين و شروحاتهم التلمودية[124]، لكن ظهور هذا المخطوطات سيغير الكثير من شروحات التلمود . نفس الشيء بالنسبة لكنيسة الفاتيكان التي لم يزعجها تعارض المخطوطات مع اليهودية و المسيحية فحسب بل تعارضها مع تعاليم الكنيسة الرومانية التي فرضتها على اليهود و العالم كله فقد قللت هذه المخطوطات من أهمية كون المسيحية الأولى فريدة من نوعها و ذلك لوجود موضوعات و تقاليد و عادات مشتركة بين المسيحية و الطائفة الإيسينية كالإفخارستيا. مما يدل على أن المسيحية و الإيسينين كانوا يستجيبون للدوافع الدينية نفسها و الموجودة في اليهودية التي عاصرت تلك الحقبة[125]. و قد أعلن الكاتب الأمريكي إدموند ولسون " أنه من المفيد ثقافيا و اجتماعيا فهم ظهور المسيحية على أنها مجرد حقبة في التاريخ الإنساني بدلا من المناداة بها على أنها مذهب ذو رؤيا سماوية و سيعود ذلك دون أدنى شك بالفائدة على الحضارة"[126].

الخلاصة

و مما لا شك فيه الآن فيما يخص تأخر نشر كامل محتوى المخطوطات و المعرفة الدقيقة والكاملة حول كمها و كيفها يجعلنا نتصور الضغوط كثيرة التي تعرضت لها اللجنة المشرفة النشر من طرف حاخامات اليهود وأيضا الفاتيكان لكي لا ينشر ما يتعارض مع تعاليم الكنسية خاصة أصالة الكتابات المقدسة و مصداقيتها كما أشار لانكستر هاردنغ، و ليس من المستبعد أن تكون بعض المخطوطات الجذاذات قد وجدت طريقها بالفعل إلى مكتبة الفاتيكان ضمانا لإخفائها نهائيا عن البحث و التحقيق فيها . و من هنا فإن كل ما لا يتماشى أو لا يمكن إخضاعه لقيود الكنيسة ليصبح مطابقا لتعاليمها يتم استبعاده و هو ما يتماشى مع توجيهات البابا بيوس الثاني عشر 1976–1985م الذي كان له دوره في التلاعب بالمخطوطات فقد قال تحديدا " إن التفسير الديني تقع عليه مسؤولية تولي المسائل ذات الانعكاس المورط للكنيسة " وهذا ما يوضح لماذا كان رولند دو فو يماطل في الكشف عن ترجمة المخطوطات لكي لا يورط السلطات المسيحية فيما يمكنه أن يهدمها . و مما لا شك فيه أن بعض معطيات المخطوطات يمكنها القيام بذلك . الأمر الذي دفعه إلى فرض اتجاه معين يسير فيه تفسير هذه المخطوطات[128].

و هكذا تصعب مهمة الباحث عندما يجد نفسه أمام معطيات لا تتفق مع ما يفرضه ذلك الخط الكنسي و تعاليمه الصارمة و لا سيما أن حتى هذه المعطيات لا يمكنه الوصول إليها أو بالأحرى لن يصل إليها، هذا يذكرنا بما كانت عليه قوة الكنيسة و قبضتها الحديدية في العصور الوسطى . إن مخطوطات البحر الميت و التعتيم الذي يفرض عليها الآن لتثبت لنا أننا مازلنا تحت هذه القبضة في كل ما يخص دراسة الديانة اليهودية و المسيحية و ما يرتبط معها من تاريخ .

لفيفة سفر أشعيا أهم مكتشفات المغارة الأولى Q1

قانون الطائفة المحتفظ به في متحف القدس

صورة لجذاذات من مكتشفات البحر الميت إثناء المعرض الذي أقيم في المكتبة الوطنية بباريس من 13 أفريل إلى 11 سنة جويلية 2010

الهوامش

(1) يوسف الكلام، تاريخ و عقائد الكتاب المقدس " بين إشكالية التقنين و التقديس"، دار الصفحات للدراسة و النشر، دمشق 2009، ص269.

(2) زينب عبد العزيز، المساومات الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، ط2، القاهر 2008، ص 239.

(3) نفسه، ص239 .

(4) حمادة حسين عمر، مخطوطات البحر الميت، دار منارات للنشر، دمشق، 1982ص6.

(5) زينب عبد العزيز، المرجع السابق،ص239.

(6) نفسه.

(7)مخطوطة بن أشير : هي المعروفة بالأصل للعهد القديم الماسورتي الذي يعود إلى القرن التاسع ميلادي و كتبت في فلسطين،هذا المخطوط مفقود . كما أن هناك مخطوط ماسورتي أخر معروف

بالماسور البابلي كتب تحت إشراف الحاخام نفتالي في نفس الزمن الذي كتب فيه بن أشير مخطوطه (8)سعيد حبيب، المدخل إلى الكتاب المقدس، القاهرة، دار التأليف و النشر، ص 37 . (9)،ص 38 .

(10) vraham.Néguév,Archéologia , N°34 , Mai-Juin , 1970,p50.
(11) P.E.M.Laperousaz , Les Manuscrites de la mer morte , Press Universitaire de France , paris, 1972, p1.
(12) Michael.Langlois, Les manuscrites de la mer morte , revue d'histoire et de la philosophie religieuse , N°1, p17.

(13) حسني محمد، مخطوطات البحر الميت و سانت كاترين، العالمية للكتاب و النشر، الجيزة،2009، ط1،ص122.

(14) فيرم غيزا، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة سهيل زكار، قتيبة للطباعة والنشر، دمشق 2006، ط1، ص9.

(15) تنسب إلى رائدها صدوق ظهرت في عهد المكابين و كان لها ممثلون في السنهدردين . وينكر منتسبوها البعث و الحياة الأخرى لاعتقادهم بأن عقاب العصاة و إثابة الصالحين حسب فهمهم لأسفار التوراة يحصلان في حياتهم . و هم يقتصرون في اعترافهم فقط بأسفار التوراة دون بقية العهد القديم و هي أسفار موسى الخمسة و هم في ذلك مثل السامريين .

(16) الفريسية : نسبة إلى الفريسيين أو البروشيم أي الانفصاليون أو المنعزلون كما سماهم الصادوقيون، و قد عرفهم يوسف فلافيوس على أنهم شيعة من أتباع العقيدة اليهودية يجهرون بأنهم أكثر استمساكا بالدين من سائر أبناء ملتهم، و بأنهم أدق من غيرهم في تفسير الشرائع، و هم يعترفون بجميع التلمود من ميشنا و جمارا . كما يطلق عليهم أنهم كانوا ألد أعداء المسيح عيسى . و كانوا على رأس المتآمرين عليه لأنه كشف كفرهم و تحريفهم للتوراة و ابتداعهم تعاليم و أحكام فاسدة و من بين أهم الشخصيات الفريسية بولس الذي أصبح الرسول أحد رسل المسيح و أكثرهم تأثيرا بعد اعتناقه المسيحية.أنظر كتاب حمادة حسين عمر، مخطوطات البحر الميت، دار منارات للنشر، دمشق، 1982.

(17) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص10.

(18) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص10.

(19) نفسه.

(20) حسني محمد، المرجع السابق،ص122.

(21) يوشع 15 : 62

(22) حسني محمد، المرجع السابق،ص122.

(23) H.Schiffman.Lawrence, Les manuscrites de la mer morte et le judaïsme , paris , ed fides, 2003,p8.

(24) حسني محمد، المرجع السابق، ص122.

(25) حسني محمد، نفسه، ص 124

(26) يوسف الكلام، المرجع السابق،ص269.

(27) يوسف الكلام، نفسه،ص270.

(28) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص9.

(29) يوسف الكلام، نفسه،ص270.

(30) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p8.

(31) عثمان أحمد، مخطوطات البحر الميت، مكتبة الشروق ص12.

(32) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p8.

(33) Loc cit.

(34) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص10.

(35) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p8.

(36) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص11.

(37) سعيد حبيب، المرجع السابق،ص38.

(38) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص20.

(39)نفسه ص 12.

(40) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 8.

(41) Ibid , p9.

(42) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص271.

(43) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص15.

(44) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 9.

(45) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص271.

(46) Elisabeth . farrell.shannon, Le rouleau 11Q Ps et le Psautier Biblique (étude comparative) Laval théologique et philosophique , 1990,Vol 46, p354.

(47) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص15.

(48) Elisabeth . farrell.shannon,Op Cit,p360.

(49) محمد علي البار، دراسة معاصرة في العهد الجديد و العقائد النصرانية، دار القلم، دمشق، ص 75 .

(50) نفسه.

(51) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص40.

(52) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص17.

(53) P.EM.Laperrousaz , Op cit .p .53.

(54)البرشمان عبارة عن أوراق ذات أصل غير نباتي كما شأن ورق البردي، و إنما البرشمان ذو أصل حيواني يستخرج من أدمة جلد الحيوان أي الطبقة الداخلية للجلد Le Derme حيث يعالج الجلد بطرقة يدوية ابتداء من نزع الشعر و الشحم اللاصقان في الجلد إلى أن يصير أوراقا صلبة مرنة و ملساء ذات لون أبيض يميل إلى الاصفرار و تشكل كل ورقة لفيفة Rouleau و يعرف باللاتينية Volumen.

(55) وثيقة دمشق المشار إليها هنا هي التي عثر عليها ضمن مخطوطات البحر الميت، لكن هذه الوثيقة كانت معروفة من قبل حيث تم نشر أجزاء منها مكتوبة بالعبرية من طرف الباحث الألماني شختر Schechter سنة1915 بعد أن اكتشفها بين سنتي 1896–1897م بين مخطوطات الجنرزا في كنيس للقرائين في القاهرة و هي تتألف من ثماني أوراق ملتصقة ببعضها من البرشمان مكتوبة على الوجه و القفا باليد نفسها، و من ورقة أخرى ذات حجم كبير مكتوبة هي أيضا من الوجهين، لكن بيد ناسخ آخر و هاتان الوثيقتان منفصلتان عن بعضهما، سمي المخطوط ذو الثماني أوراق بالوثيقة A و المخطوط المكون من ورقة واحدة بالوثيقة B . و قد طرحت فرضيات كثيرة لتفسير و معرفة زمن كتابتها . و لم يعد اليوم ثمة شك بالأصل الإيسيني لهذه الوثيقة المعروفة بوثيقة دمشق منذ اكتشاف اجزاء في البحر الميت في المغارات الأولى، الخامسة و السادسة تتفق جوهريا مع نص مخطوط الوثيقةA .

(56) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 20.

(57) (3) Michael.Langlois, Op Cit,p7.

(58) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص43.

(59) نفسه ص45.

(60) حسني محمد، المرجع السابق، ص141.

(61) زينب عبد العزيز، المرجع السابق،ص239.

(62) حسني محمد، المرجع السابق، ص142.

(63) محمد علي البار، المرجع السابق، ص486.

(64) حسني محمد، المرجع السابق، ص144.

(65) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 20.

(66) Ibid,p21.

(67) نفسه.

(68) حسني محمد، نفسه،ص 145.

(69) نفسه.

(70) نفسه، ص146.

(71)) زينب عبد العزيز، المرجع السابق،ص239.

(72) محمد علي البار، المرجع السابق، ص486.

(73) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 20.

(74) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص46.

(75) نفسه.

(76) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص193.

(77) نفسه، ص195.

(78) نفسه.

(79) حسني محمد، المرجع السابق، ص150.

(80) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص202.

(81) نفسه، ص203.

(82) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 90.

.) Loc Cit83(

(84) محمد علي البار، المرجع السابق، ص486.

(85) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص47.

(86) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 90.

(87) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص47.

(88) الإفخارسيا : تمثل الإفخارسيا واحدة من الأركان الأساسية للعقيدة المسيحية إذ أنها تمثل التحام الأتباع التحاما فعليا بالمسيح بأكل لحمه و شرب دمه ليحصل على الخلاص و يرى البحث روبرت فن اش Robert Va, Asshe أن الإفخارسيا منبعها هي ديانة ميثرا في بحثه عن الإله مثرا و الإفخارسيا المسيحية إذ يقول فيه عنها " من لم يأكل جسمي و لم يشرب دمي بحيث يمتزج بي و أمتزج به فلن يحصل على الخلاص. ثم جعلها الهيلينيون عبادة ذات أسرار و أصبحت قاصرة على نخبة يتم اختيارها بعناية فائقة بعد اجتياز محن و اختبارات قاسية و تتضمن هذه العبادة التعميد و العشاء السرّي . و فكرة العشاء السّري هي ناجمة عن عملية إحلال أو تبديل للضحية فالمفروض

فيها ذبح ثور و مع ارتفاع ثمنه و صعوبة تنفيذ هذا الطقس، جعلوا الخبز و النبيذ بدلا عنه و هو تقليد يعتمد على أن يشرب الراهب بضع نقاط من دم الضحية الذي يمتزج بالإله و هو ما كان سائدا أيام هيرودوت . و يوضح فان أشي أن الكنيسة قد أعادت شرح عملية الخبز و النبيذ إلى لحم و دم المسيح أثناء عملية تقديسهما استنادا إلى الفلسفة القديمة القائلة بأن الإنسان مكون من جوهر ومظهر و وجود . و في سر عملية التحول فإن الخبز و النبيذ لا يتغيران شكلا و إنما يتغيران في الجوهر بحيث لا يصبح الخبز خبزا و لا النبيذ نبيذا و إنما لحم ودم المسيح فعلا مع التأكد أنه ليس رمزا و إنما حقيقة فعلية لا بد من الإيمان بها إيمانا صارما . و اللافت للنظر أن هذا الطقس تم غرسه في الأناجيل، أي فيما يفترض أنه في قلب اليهود، و هو يتنافى تماما إلى درجة المستحيل مع الشرع اليهودي الذي يحرم شرب الدم تحريما قاطعا . لذلك يرى العديد من الباحثين أنه لا يمكن تصور هذا الطقس في وسط يهود فلسطين الذين لا ينفرون من شرب الدّم لتحريمه شرعا فحسب وإنما لمعرفتهم أيضا أنه من الطقوس الوثنية . و الاحتفال بالإفخارسيا يكون يوم الأحد و يجمع بين الأسقف و الأتباع و قد بدأ تطبيقه منذ القرن الثاني ميلادي، لكن نصوص قمران تفند ذلك . أنظر زينب عبد العزير، زينب عبد العزيز، المساومات الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، ط2، القاهر 2008.

(89) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 89.

(90) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص46.

(91) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 89.

(92) نفسه، ص50.

(93) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 90.

(94) حسني محمد، المرجع السابق، ص150.

(95) H.Schiffman.Lawrence,Op Cit,p 90.

(96) Elisabeth . farrell.shannon,Op Cit,p368.

(97) حمادة حسين عمر، المرجع السابق،ص47.

(98) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص276.

(99) نفسه .

(100) نفسه، ص277.

(101) حسني محمد، المرجع السابق، ص173.

(102)نفسه، ص193.

(103) نفسه، ص194.

104)) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص278.

(105) نفسه.

(106) التكوين 14: 18–20.

(107)) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص575.

(108) حسني محمد، المرجع السابق، ص213.

(109) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص277.

(110)) حسني محمد، المرجع السابق، ص212.

(111) حسني محمد، المرجع السابق،ص180

(112) نفسه، ص212.

(113) يوسف الكلام، المرجع السابق، ص279.

(114) حسني محمد، المرجع السابق، ص ص 188–189.

(115) نفسه، ص190.

(116) نفسه، ص192.

(117) محمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة و التوراة، دار الثقافة، الدوحة،1985، ص106 .

(117) محمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة و التوراة، دار الثقافة، الدوحة،1985، ص106 .

(118)) زينب عبد العزيز، المرجع السابق،ص242.

(119) نفسه، ص243.

(120)) فيرم غيزا، المرجع السابق،ص11.

(121) نفسه، ص44.

(122) نفسه، ص46 نفسه، ص44.

(123) زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص243.

(124)) عثمان أحمد، المرجع السابق،ص103.

(125) نتالي جميس، اكتشافات الكتاب المقدس، ترجمة آسيا محمد الطريحي، ص151.

(126) نفسه.

(127) عثمان أحمد،، المرجع السابق، ص 104.

(128) زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص254.